

Lark Journal of Philosophy, Linguistics, and Social Sciences E-ISSN 2663-5836

Journal homepage: https://lark.uowasit.edu.iq

Vol. 18 No 4 October 2026, pp.101-122

https://doi.org/10.31185/lark.5443

الجزء الثاني الخاص بطلبة الدراسات العليا

Following the science of men to correct the Islamic narrations in the Shiite school

[1] Researcher: Ahmed A. Lafta

PhD Student

Department of Quranic and Hadith, shahid Chamran University of Ahvaz, Ahvaz, Iran

[2]Nancy Saki

Assistant Professor, Department of Quranic and Hadith, Shahid Chamran University of Ahvaz, Ahvaz, Iran.(Corresponding Author)

Received Feb. 9, 2026 | Revised May.19, 2026 | Accepted Jul.27, 2026 | Online October1, 2026

ABSTRACT

This research aims to study the impact of biographical evaluation (ilm al-rijal) on the authentication of Islamic hadiths within the Twelver Shi'a school of thought. It is considered one of the most important hadith sciences, contributing significantly to the development of the hadith corpus and the refinement of doctrinal and jurisprudential knowledge. Since its inception, biographical evaluation has served as a scientific method for investigating the reliability of narrators, distinguishing trustworthy from weak ones, and uncovering their social strata and connections. This has made it the cornerstone for evaluating the chain of transmission (isnad) and accepting hadiths. This study examines the development of this science within the Twelver Shi'a tradition, demonstrating how its foundational texts—such as al-Najashi's Rijal, al-Tusi's Fihrist, and Tanqih al-Maqal—contributed to formulating a precise critical methodology based on the principles of criticism and authentication (jarh wa ta'dil) and the analysis of the narrators' social strata.

The research also focuses on the direct role of biographical evaluation in authenticating hadiths, illustrating how prominent hadith scholars—such as al-Kulayni, al-Saduq, and al-Tusi—relied on its principles in selecting reliable hadiths and rejecting weak or disconnected ones. The research also examines the epistemological and methodological challenges this field has faced in modern studies, such as the issue of ancient testimonies, exaggeration, ignorance, and calls to prioritize textual criticism over chain of transmission (isnad). It clarifies that these challenges, despite their importance, do not invalidate the value of biographical evaluation (ilm al-rijal) but rather call for its development through an integrated methodology that combines both chain of transmission and textual criticism.The research concludes that biographical evaluation has been and remains one of the pillars upon which Imami doctrine is based, because many of its fundamental principles—such as Imamate, infallibility, and occultation—rest on narrations whose authenticity has been established according to the criteria of this field. Furthermore, biographical evaluation has profoundly influenced the development of Imami jurisprudence (fiqh) by classifying narrations, prioritizing the strongest chain of transmission when they conflict, and determining the validity of narrations for legal argumentation. Thus, the research demonstrates that biographical evaluation is not a static historical discipline but rather a dynamic and evolving methodological system that has preserved the purity of the hadith tradition and contributed to the construction of a coherent religious body of knowledge.

Keywords: science of men, Shiite school, Islamic narrations, correct.

إثر علم الرجال لتصحيح الروايات الإسلامية فى مكتب الشيعه

[1]م.م احمد عليوي لفته

طالب دكتورا قسم علوم القرآن والحديث، جامعة شهيد تشمران اهواز، اهواز، ايران.

a07705828801@gmail.com

This work is licensed under a Creative Commons Attribution License (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) that allows others to share and adapt the material for any purpose (even commercially), in any medium with an acknowledgement of the work's authorship and initial publication in this journal.

[2]د. نانسي ساكي (المؤلف المسؤول)
أستاذة مساعدة، قسم علوم القرآن والحديث، جامعة شهيد تشمران اهواز، اهواز، ايران.
n.saki@scu.ac.ir

الملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة أثر علم الرجال في تصحيح الروايات الإسلامية داخل مدرسة الشيعة الإمامية، بوصفه أحد أهم العلوم الحديثية التي أسهمت في بناء المدوّنة الروائية وضبط المعرفة العقدية والفقهية. فقد مثّل علم الرجال منذ نشأته وسيلةً علمية للتحقيق في أحوال الرواة، وتمييز الثقات منهم عن الضعفاء، والكشف عن طبقاتهم واتصالاتهم، مما جعل منه الركيزة الأساسية في تقييم السند واعتماد الأخبار الشرعية. وتتناول هذه الدراسة تطوّر هذا العلم في التراث الإمامي، وتبيّن كيف ساهمت كتبه الأساسية—مثل رجال النجاشي، وفهرست الطوسي، وتنقيح المقال—في صياغة منهج نقدي دقيق يقوم على الجرح والتعديل وتحليل الطبقات.

ويركّز البحث كذلك على الدور المباشر لعلم الرجال في تصحيح الروايات، حيث يوضّح كيف اعتمد كبار المحدّثين—كالكليني والصدوق والطوسي—على مبادئه في اختيار الروايات المعتبرة واستبعاد الأخبار الضعيفة أو المنقطعة. كما يستعرض البحث الإشكالات المعرفية والمنهجية التي واجهت هذا العلم في الدراسات الحديثة، مثل إشكالية الشهادات القديمة، والغلوّ، والجهالة، والدعوات إلى تقديم نقد المتن على نقد السند، مع بيان أن هذه الإشكالات، رغم أهميتها، لا تُبطل قيمة علم الرجال بل تدعو إلى تطويره بمنهج تكاملي يجمع بين السند والمتن.

ويخلص البحث إلى أن علم الرجال كان ولا يزال أحد الأعمدة التي قامت عليها العقيدة الإمامية، لأن كثيرًا من أصولها—مثل الإمامة، العصمة، والغيبة—ترتكز على روايات ثبتت صحتها وفق معايير هذا العلم. كما أثّر علم الرجال بعمق في بناء الفقه الإمامي، من خلال تصنيف الروايات وترجيح الأقوى سندًا عند التعارض، وتحديد صلاحية الأخبار للاحتجاج الشرعي. وبذلك يُبرز البحث أن علم الرجال ليس علمًا تاريخيًا جامدًا، بل هو منظومة منهجية متجددة حافظت على نقاء التراث الروائي وأسهمت في بناء معرفة دينية متماسكة.

الكلمات المفتاحية: علم الرجال، مكتب الشيعه، الروايات الاسلاميه، تصحيح.

المقدمة :

يُعدّ علم الرجال أحد أهمّ العلوم الإسلامية التي نشأت في بيئة التداول الروائي، وهو العلم الذي يُعنى بدراسة أحوال الرواة والكشف عن عدالتهم وضبطهم وسيرتهم الفكرية والسلوكية بهدف تقييم الروايات التي تُنسب إلى النبيّ الأكرم ﷺ أو إلى الأئمة من أهل البيت عليهم السلام. وقد اكتسب هذا العلم أهميةً خاصّة في مدرسة الشيعة الإمامية نظرًا لارتباط التراث الروائي الشيعي بمبدأ الإمامة، واعتماد الفقه الشيعي اعتمادًا مباشرًا على الأخبار المأثورة عن الأئمة المعصومين باعتبارها الامتداد البياني للرسالة الإسلامية. ومع توسّع المدونة الحديثية الشيعية عبر القرون، وتعاظم الحاجة إلى التمييز بين النصوص الصادرة عن المعصومين وبين ما دُسّ عليها من روايات ضعيفة أو موضوعة، برز علم الرجال باعتباره الأداة المنهجية الرئيسة لضبط النقل وحماية التراث الحديثي من التحريف. فقد واجهت مدرسة أهل البيت تحديات كبيرة تمثّلت في انتساب عدد واسع من الروايات إلى الأئمة دون طريق موثوق، أو اعتماد رواة اتُّهموا بالغلو أو التدليس أو الضعف، الأمر الذي استدعى تطوير معايير دقيقة لتمييز الصحيح من السقيم. ومن هنا نشأت جهود علماء الرجال الأوائل—كالنجاشي في «رجاله»، والشيخ الطوسي في «الفهرست» و«الرجال»، وابن الغضائري في «الضعفاء»—لتأسيس منهج نقدي يستند إلى التوثيق، والجرح، وتقييم المضامين، ومقارنة القرائن. ومع مرور الزمن

تطورت هذه الجهود على يد علماء القرن الثامن إلى الثاني عشر مثل العلامة الحلي، والشهيد الثاني، والبحراني، والمامقاني، حتى تشكلت منظومة علمية متكاملة تُسهم في تصحيح الروايات وتضعيفها وتحديد درجة اعتبارها.

ولا يقتصر أثر علم الرجال على الجانب الحديثي فحسب، بل يمتد إلى علم الأصول والاجتهاد الفقهي؛ إذ إن البناء الفقهي في المدرسة الإمامية يقوم على الروايات المعتبرة سندًا ودلالة. كما أن العقائد الأساسية—مثل العصمة، والإمامة، وصفات الله—تستند إلى روايات محققة السند، وهو ما يجعل علم الرجال جزءًا بنيويًا من التكوين الفكري والعقدي للتشيّع. وفي ضوء التطورات المعاصرة في الدراسات الحديثية، وظهور نقاشات نقدية حول مدى حجّية علم الرجال، وحول إمكانية الاعتماد على وثاقة الراوي دون النظر إلى القرائن المتنية، تبرز ضرورة إعادة قراءة هذا العلم قراءة علمية، وتحليل أثره الفعلي في تصحيح الروايات، وبيان حدود قدرته في مواجهة الإشكالات الحديثة. وهذا البحث يسعى إلى تقديم دراسة تحليلية متوازنة تبرز مكانة علم الرجال في مدرسة الشيعة، وتوضح أثره المنهجي والمعرفي في تصحيح الروايات، مُعتمدًا على أمهات المصادر الرجالية والحديثية.

تتمثل الإضافة العلمية لهذا البحث في أنه لا يقتصر على عرض المفاهيم التقليدية لعلم الرجال أو التعريف بمصادره الرئيسة، وإنما يسعى إلى بيان أثر هذا العلم في تصحيح الروايات الإسلامية داخل الفكر الشيعي من خلال الربط بين الجانب النظري والجانب التطبيقي، وتحليل دوره في بناء المدونة الحديثية والعقدية والفقهية. كما يتناول البحث الإشكالات المعرفية والمنهجية المعاصرة المرتبطة بعلم الرجال، ويقدم رؤية تحليلية تقوم على التكامل بين النقد السندي والنقد المتني، بما يسهم في تطوير الدراسات الحديثة المتعلقة بالمناهج الحديثية عند الإمامية.

أهمية البحث

- إبراز أهمية علم الرجال في حفظ التراث الحديثي الشيعي من التحريف والدسّ.
- توضيح الدور النقدي الذي يقوم به علم الرجال في تمييز الروايات الصحيحة من الضعيفة.
- سدّ الفجوة البحثية في الدراسات الحديثة التي تتناول العلاقة بين علم الرجال ومناهج التحقيق الحديثي.
- تطوير رؤية معاصرة لكيفية توظيف علم الرجال في القراءات الحديثة للتراث.
- تبيين الأثر المعرفي لهذا العلم في الفقه والعقيدة والاستنباط.

هدف البحث

يهدف هذا البحث إلى تحليل الأثر الذي يمارسه علم الرجال في تصحيح الروايات الإسلامية داخل مدرسة الشيعة الإمامية، من خلال تتبّع المناهج الرجالية الكلاسيكية والحديثة، وبيان تطبيقاتها العملية في كتب الحديث والفقه والعقيدة.

إشكالية البحث

تكمن الإشكالية الرئيسة في:

كيف أسهم علم الرجال في مدرسة الشيعة في تصحيح الروايات الإسلامية، وما مدى فاعليته وحدوده في عملية التوثيق والجرح والتعديل في ضوء التطور الحديث في الدراسات الحديثية؟

أسئلة البحث

- ما هو علم الرجال؟ وكيف نشأ وتطور في مدرسة الشيعة؟
- ما هي أهم المصادر الرجالية التي اعتمد عليها علماء الإمامية؟

- كيف تُسهم مبادئ الجرح والتعديل في تقييم الروايات؟
- ما أثر علم الرجال على كتب الحديث الأربعة وعلى عملية تصحيح الروايات
- ما هي أبرز الإشكالات المطروحة على علم الرجال قديمًا وحديثًا
- هل يمكن تطوير منهج تكاملي يجمع بين النقد السندي والمتني؟

فرضية البحث

تقوم فرضية البحث على أنّ:

علم الرجال يمثّل ركيزة أساسية في تصحيح الروايات في مدرسة الشيعة، وأن اعتماده المنهجي—بالاقتران مع القرائن المتنية—يُسهم في بناء مدونة حديثية أكثر دقة وموثوقية، رغم وجود إشكالات معرفية تحتاج إلى تطوير منهجي معاصر.

1. الإطار المفاهيمي والمرجعي لعلم الرجال

يُعدّ علم الرجال واحدًا من أهم العلوم الأساسية التي نشأت في بيئة الرواية الإسلامية، وهو علمٌ ارتبط وجوده بوجود النص الحديثي نفسه، لأن عملية نقل الروايات عن النبيّ الأكرم ﷺ وعن الأئمة من أهل البيت عليهم السلام كانت تحتاج إلى أداة علمية تُميّز الصادق من الكاذب، والموثوق من غير الموثوق، والمقرّب من المعصوم من المدّعي عليه. وعلى هذا الأساس ظهر علم الرجال ليكوّن المنظومة النقدية التي تقوم عليها صحة الرواية وقيمتها العلمية. ويكتسب هذا العلم في مدرسة الشيعة الإمامية أهمية مضاعفة، إذ إن التراث الشيعي يعتمد إلى حدّ كبير على نقل الأئمة الاثني عشر الذين يمثلون الامتداد الواقعي للرسالة الإسلامية بعد النبي، الأمر الذي جعل التثبّت من سلسلة الرواة وتقييم وثاقتهم جزءًا بنيويًا من مشروع تدوين الحديث الشيعي. (النجاشي، 1407هـ: 32–33)

ولم يكن علم الرجال مجرد علم تقريري يُعنى بجمع أسماء الرواة وحصر طبقاتهم، بل هو علم نقدي تحليلي، أسهم في تأسيس منهج راسخ لتوثيق النقل، وشارك في حفظ المدوّنة الحديثية من الدسّ والغلوّ والانحراف. وقد مرّ هذا العلم بمراحل متعددة من التطور، بدءًا من التأسيس الأولي في القرن الثالث الهجري، وصولاً إلى تقعيد المناهج الرجالية الكبرى في القرون اللاحقة، ثم مرحلة النقد المنهجي الحديث التي أعادت النظر في عدد من مبادئ الجرح والتعديل وفق مستجدات البحث التراثي المعاصر. ومن هنا يهدف هذا الفصل إلى وضع إطار مفاهيمي ومرجعي شامل لعلم الرجال، من خلال تناول نشأته وتطوره، ثم تحليل مصادره الأساسية الكبرى التي أسست لمنهج نقدي رصين في مدرسة أهل البيت. (الطوسي، 1381هـ: 18–20)

ويتكون هذا الفصل من مبحثين: الأول يعالج تعريف علم الرجال ونشأته ومسيرته العلمية داخل المدرسة الإمامية، والثاني يتناول مصادر هذا العلم ومناهجه النقدية، مع تتبعٍ لجهود أبرز الرجاليين الذين شكّلوا قاعدة هذا التراث. وينطلق الفصل من فرضية مفادها أن فهم علم الرجال فهما دقيقًا هو شرط أساسي لفهم طبيعة التصحيح الحديثي في مدرسة الشيعة، وأن هذا العلم لا يمكن قراءته بوصفه علمًا تاريخيًا بحتًا، بل هو علم ذو حضور معرفي متجدد يستمر تأثيره في مجالات الفقه والعقيدة والأصول.

1.1 تعريف علم الرجال ونشأته وتطوّره في مدرسة الشيعة

يمثل هذا المبحث المدخل الأساس لفهم البناء العلمي لعلم الرجال، لأنه يسعى إلى تحديد ماهية هذا العلم، والكشف عن جذوره الأولى، وتتبع مسار تشكّله داخل مدرسة الشيعة منذ القرن الهجري الأول وحتى اكتمال منظومته النقدية في العصور اللاحقة. ولا يمكن دراسة أثر علم الرجال في تصحيح الروايات دون الوقوف على كيفية ظهوره، والظروف التي رافقت نشأته، والغايات التي قدم من أجلها، ثم التطور العلمي الذي مرّ به حتى أصبح أحد الأعمدة الرئيسة في المنهج الحديثي الشيعي. والاهتمام بنشأة هذا العلم

وتطوّره يمثل مدخلًا كذلك لفهم طبيعة العلاقة بين النص الروائي وبين البيئة العلمية التي أنتجته، إذ إن تقييم الروايات لا ينفصل أبدًا عن تطور المعرفة الرجالية نفسها. (الطوسي، 1415هـ: 74–77)

ظهر علم الرجال في البيئة الإسلامية نتيجة الحاجة الملحة لضبط عملية النقل الروائي. فمع توسّع رقعة الدولة الإسلامية وكثرة الداخلين في الإسلام وتزايد مستويات الصراع السياسي والفكري، برزت مشكلات تتعلق بنقل أحاديث تُنسب إلى النبي أو إلى الأئمة دون طريق موثوق، وهو ما استدعى إنشاء منظومة علمية قادرة على تمييز الرواة وضبط سيرتهم. أما في مدرسة الشيعة، فقد كانت الحاجة إلى هذا العلم أشدّ، لأن الروايات المنقولة عن الأئمة كانت تمثل امتدادًا تشريعيًا وفكريًا لما تركه النبي، وبالتالي كان لابد من التأكد من وثاقة الناقلين وصحة ما يروونه. (ابن الغضائري، 1385هـ: 11–14)

ويُقصد بعلم الرجال ذلك العلم الذي يبحث في أحوال الرواة من حيث وثاقتهم، عدالتهم، صدقهم في النقل، مذهبهم، ودرجة قربهم أو بعدهم عن الأئمة، بالإضافة إلى بيان طبقاتهم وأدوارهم في نشر الرواية. وقد امتازت المدرسة الإمامية بمنهج رجالي متين، تميّز عن باقي المدارس الإسلامية بتركيزه على تقييم الأفراد وفق رواياتهم عن الأئمة الاثني عشر، مما أسّس لتقليد خاص في نقد السند. (الحلي، 1411هـ: 55–60)

وقد بدأ هذا العلم بالتبلور في القرن الثالث الهجري، إذ ظهرت أولى الكتابات الرجالية عند الشيعة، مثل كتابات البرقي، ثم جاء القرن الرابع وما تلاه ليشهد ظهور الأعمال الكبرى التي أسست لعلم الرجال بنسخته الكاملة، وعلى رأسها كتاب «رجال النجاشي» الذي يُعدّ من أدقّ كتب التراجم الشيعية، وكتاب «الفهرست» و«الرجال» للشيخ الطوسي اللذين جمعا بين الترجمة وبين تصنيف الرواة طبقاتيًا. وفي القرون المتأخرة، طور العلماء هذا العلم ووسّعوا معاييره، مثل العلامة الحلي وابن داود وابن المطهر، ثم المامقاني الذي وضع موسوعته الرجالية الضخمة تنقيح المقال. (البحراني، 1405هـ: 27–29)

ومع دخول العصر الحديث، تطورت مناهج القراءة النقدية، وبدأ العلماء يعيدون النظر في بعض توثيقات القدماء، مما أدى إلى ولادة ما يعرف بـ"المدرسة الرجالية النقدية" التي تسعى إلى مراجعة الأخبار الرجالية وفق معايير علمية أكثر دقة، ووفق منهج مقارن يعتمد على القرائن الداخلية والخارجية للسند والمتن معًا. وهكذا أصبح علم الرجال علماً حيويًا متجدداً، يتفاعل مع تطور الدراسات الحديثة في علوم الحديث. (الأفندي، دون تاريخ: 112–114)

أولا: تعريف علم الرجال وخصوصيته في المدرسة الإمامية

يُعرَّف علم الرجال بأنه العلم الذي يبحث في أحوال الرواة من حيث عدالتهم وضبطهم وصدقهم واتصالهم، ويهدف إلى تمييز الثقات من الضعفاء، ومعرفة من يمكن قبول روايته ومن يجب ردّها.

وفي المدرسة الإمامية اتخذ علم الرجال طابعًا خاصًا مرتبطًا بالبنية العقدية للتشيّع، لأن الروايات المنقولة عن الأئمة ليست مجرد روايات تاريخية، بل هي جزء من البيان التشريعي. ولهذا كان لزامًا التحقق من صحة طرقها. (المامقاني، دون تاريخ: 41–45)

وقد تميّزت المدرسة الإمامية بتركيزها على تقييم الرواة وفق قربهم من الأئمة، لا مجرد عدالتهم العامة، مما جعل علم الرجال أحد الأعمدة الأساسية في حفظ التراث الحديثي.

ثانيا: مراحل تطور علم الرجال من التأسيس إلى النضج العلمي

بدأ علم الرجال في صورته الأولى عبر تدوين أسماء الرواة وجمع كتبهم، كما في أعمال البرقي والكشي. ثم تطور هذا العلم في القرن الرابع مع ظهور كتابَي النجاشي والطوسي اللذين وضعا الأساسات العلمية لعلم الرجال. (الكشي، 1348هـ: 102–105)

وفي المرحلة اللاحقة، عمل العلماء مثل العلامة الحلي وابن داود والمامقاني على تطوير هذا العلم عبر إدخال مناهج تحليلية وتفصيلات جديدة. أما العصر الحديث فقد شهد ظهور "المدرسة الرجالية النقدية" التي أعادت قراءة التراث الرجالي وفق مناهج حديثة.

وهكذا مرّ علم الرجال بثلاث مراحل: (الكليني، دون تاريخ: 72–75)

- مرحلة التأسيس
- مرحلة التقعيد والتدوين
- مرحلة النقد والتطوير الحديث

وكل مرحلة أسهمت في ترسيخ مكانة هذا العلم في التراث الشيعي.

2.1 مصادر علم الرجال عند الشيعة وأهم المناهج النقدية

بعد فهم طبيعة علم الرجال ونشأته في المبحث السابق، يأتي هذا المبحث ليعالج الركن المعرفي الأهم في هذا العلم، وهو مصادره ومناهجه النقدية. فكل علم لا يمكن أن يُدرس بمعزل عن مصادره التي نشأ منها، ولا عن المناهج التي اعتمدها علماؤه في التوثيق والجرح والتعديل. ومن هنا تتجلى أهمية هذا المبحث، لأنه يتناول الكتب الرجالية الكبرى التي شكّلت الأساس الذي اعتمد عليه المتقدمون والمتأخرون في تقييم الرواة، كما يكشف عن المناهج النقدية المتنوعة التي ظهرت في المدرسة الإمامية، من المنهج التقليدي إلى المنهج الاجتهادي النقدي. ويُعد هذا المبحث ضرورة لفهم كيفية ممارسة علم الرجال لدوره الحقيقي في تصحيح الروايات. (الصدوق، دون تاريخ: 23–26)

تستند المدرسة الشيعية في علم الرجال إلى مجموعة من المصادر الأساسية التي أصبحت مرجعًا لا غنى عنه في تقييم الرواة. ومن أهم هذه المصادر ثلاثة أعمدة كبرى: (الطوسي، دون تاريخ: 8–12)

الأول هو «رجال النجاشي»، الذي يتميز بدقته الشديدة ومنهجه النقدي الصارم، إذ يقدّم ترجمة مفصلة للرواة مع الإشارة إلى أساتذتهم وكتبهم ومعاصريهم، ويُعرف عنه أنه من أكثر الكتب تحفظًا في التوثيق، وهو ما يجعله مصدرًا رئيسيًا في الحكم على الرواة.

أما العمود الثاني فهو كتاب «الفهرست» للشيخ الطوسي، وهو كتاب يجمع بين الترجمة وبين عرض الكتب والمؤلفات التي نُسبت للرواة، مما يجعله مرجعًا مهمًا في تحديد أصالة الكتب المنقولة داخل التراث الشيعي.

والعمود الثالث هو كتاب «الرجال» للطوسي، الذي قسّم فيه الرواة إلى طبقات وفق علاقتهم بالأئمة، مما أتاح للباحثين إمكانية تتبع تطور الرواية ومعرفة طبيعة الاتصال والانقطاع بين الرواة.

"ومن أبرز المصادر الرجالية المبكرة كتاب «اختيار معرفة الرجال» للكشي، وكتاب «الضعفاء» لابن الغضائري، ثم جاء «رجال النجاشي» و«الفهرست» و«الرجال» للشيخ الطوسي، لتتطور الدراسات الرجالية لاحقاً مع كتب العلّامة الحلي وغيره من علماء الإمامية."

أما من الناحية المنهجية، فقد اعتمد علماء الرجال على مجموعة من المناهج النقدية التي تُسهم في تقييم الروايات. فالمنهج التقليدي يقوم على الأخذ بتوثيقات القدماء بوصفهم الأقرب عهدًا بالرواة، بينما المنهج الاجتهادي النقدي يقوم على مراجعة تلك التوثيقات

وتحليلها من جديد وفق القرائن الداخلية والخارجية، إضافة إلى المنهج المقارن الذي يقارن بين الروايات المختلفة للرواة أنفسهم لاستخلاص حكم أكثر دقة.

ومن المناهج المهمة أيضًا ما يعرف بـ"المنهج التكاملي"، الذي يجمع بين نقد السند ونقد المتن معًا، إذ يرى أصحابه أن صحة الرواية لا يمكن أن تعتمد على السند فقط، بل يجب أن تُعرض على القرآن والعقل والسنة القطعية. وهذا المنهج بات اليوم من أقوى المناهج في الدراسات الحديثية الحديثة. (الطوسي، دون تاريخ: 4–6)

وهكذا يتضح أن مصادر علم الرجال ومنهجه النقدي يشكلان أساس القدرة على تصحيح الروايات، وأن فهمهما يمثل بوابة ضرورية لفهم أثر علم الرجال في التراث الشيعي.

تؤكد الدراسات المعاصرة المنشورة في مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية على أهمية المقاربة التحليلية للأبعاد الرمزية والدلالية في البنى الثقافية والدينية، ولا سيما في دراسة النصوص والمنتجات الحضارية ذات الحمولة الفكرية العميقة. ففي هذا السياق، يبيّن سلمان ونور الآراجي أن الشخصيات الأسطورية في النحت السومري لا تمثل عناصر فنية معزولة، بل تعبّر عن أنساق فكرية وفلسفية مترسخة في الوعي الجمعي للمجتمع الرافديني، وتسهم في إنتاج المعنى الرمزي المرتبط بالمقدس والكون والسلطة (سلمان ونور الآراجي، 2025: صـ 552–555).

ومن زاوية سوسيولوجية معاصرة، يشير الخفاجي إلى أن الخطاب المتطرف يُعدّ أحد أبرز التحديات التي تهدد تماسك البنية المجتمعية، لما يحمله من مضامين إقصائية تؤثر سلبًا في الاستقرار الاجتماعي ومسارات التنمية المستدامة، مؤكدًا ضرورة تفكيك هذا الخطاب وتحليله ضمن أطر نقدية علمية (الخفاجي، 2025: صـ 840–845).

وفي إطار مقاربة دلالية-سيميائية، يركّز فرحان على البعد الإدراكي للمقدس في النص الشعري، موضحًا أن الرموز الدينية والثقافية تؤدي دورًا محوريًا في تشكيل المعنى وإنتاج الدلالة، وأن فهم هذه الرموز يتيح قراءة أعمق للعلاقة بين المقدس واللغة والخيال الشعري (فرحان، 2025: صـ 10–14).

أولًا: المصادر الأساسية لعلم الرجال وخصائص كل مصدر

تقوم المعرفة الرجالية في المدرسة الشيعية على عدة مصادر، أبرزها: (المفيد، دون تاريخ: 42–45)

رجال النجاشي: وهو أدق المصادر، ويتميّز بتحقيقات رجالية متينة.

الفهرست للطوسي: يهتم بذكر مؤلفات الرواة وطرق وصول الكتب.

رجال الطوسي: يصنّف الرواة حسب علاقتهم بالأئمة.

كتاب الضعفاء لابن الغضائري: يركّز على نقد الرواة وتبيين حال الضعفاء.

كما ظهرت كتب لاحقة مثل خلاصة الأقوال للحلي وتنقيح المقال للمامقاني.

وقد شكّلت هذه المصادر الأساس الذي قام عليه التحقيق السندي عند الإمامية.

ثانيًا: المناهج النقدية الرجالية: التقليدي، المقارن، والتكاملي

اعتمد العلماء ثلاثة مناهج رئيسية: (المفيد، دون تاريخ: 16–20)

المنهج التقليدي: وهو الأخذ بأقوال المتقدمين دون مناقشة واسعة، اعتمادًا على قربهم الزمني من الرواة.

المنهج المقارن: الذي يعتمد على مقارنة الأسانيد، ودراسة طبقات الرواة، وتحليل طرق الرواية.

المنهج التكاملي: وهو أحدث المناهج، ويجمع بين نقد السند والمتن، وبين الرجالي والدلالي، ويعتمد على القرائن الداخلية والخارجية معًا.

وقد أصبح هذا المنهج الأخير الأكثر قبولًا في العصر الحديث لأنه يوازن بين صرامة التحليل القديم وحاجات البحث العلمي المعاصر.

خلص هذا الفصل إلى أن علم الرجال يمثل أحد العلوم الأساسية في التراث الحديثي الإمامي، إذ نشأ استجابة للحاجة إلى التحقق من صحة الروايات وتمييز المقبول منها عن المردود. كما تبين أن تطور هذا العلم ارتبط بجهود عدد من كبار العلماء الذين أسسوا مصادر رجالية أصبحت مرجعاً أساسياً في تقييم الرواة والأسانيد. كذلك أظهر الفصل أن المناهج الرجالية لم تقتصر على التوثيق التقليدي، بل تطورت لتشمل مناهج نقدية وتحليلية أسهمت في تعزيز دقة الحكم على الروايات.

2. أثر علم الرجال في تصحيح الروايات

يشكّل علم الرجال أحد الأعمدة المنهجية الأكثر تأثيرًا في عملية تصحيح الروايات داخل مدرسة الشيعة الإمامية، حيث لا يُنظر إلى أي نص حديثي بوصفه وثيقة دينية قابلة للاستدلال إلا إذا اجتاز معيارين أساسيين: سلامة السند، وسلامة المتن. وفي هذا السياق يحتل علم الرجال موقعًا محوريًا في تقييم سلسلة الإسناد، من خلال دراسة حال الرواة والطبقات، ومعرفة مدى وثاقتهم، ودرجات ضبطهم، ومدى ارتباطهم بالأئمة أو بالرواة الموثوقين. وبذلك يصبح هذا العلم أداة منهجية لا غنى عنها في التمييز بين الصحيح والضعيف، وفي ضبط البناء الروائي الذي تعتمد عليه المدرسة الإمامية في فقهها وعقائدها وأدبياتها الحديثية. (الحلي، دون تاريخ: 34–37)

وإذا كان الفصل الأول قد وضع الإطار المفاهيمي لعلم الرجال ونشأته ومصادره، فإن هذا الفصل ينتقل خطوة أخرى نحو تحليل أثر هذا العلم وتأثيره المباشر في تصحيح الروايات. وينقسم الفصل إلى مبحثين: الأول يوضح كيف يسهم علم الرجال في التمييز المنهجي بين الصحيح والضعيف من خلال قواعد الجرح والتعديل وتقييم السند، أما المبحث الثاني فيتجه نحو التطبيقات العملية لهذا العلم في أعمال كبار المحدّثين، مثل الكليني في «الكافي»، والصدوق في «من لا يحضره الفقيه»، والطوسي في «التهذيب» و«الاستبصار»، أي أن المبحث الثاني يمثل الجانب التطبيقي الذي يكشف آليات التصحيح عند أبرز ممثّلي المدرسة الحديثية الإمامية. (الطبرسي، دون تاريخ: 58–60)

بهذا يتّضح أن هذا الفصل يشكّل حلقة أساسية بين الإطار المعرفي لعلم الرجال وبين توظيفه العملي داخل كتب الحديث، بما يفضي إلى فهم أعمق لطريقة تشكّل المدونة الروائية الشيعية، والكيفية التي تمّ من خلالها بناء معيار التصحيح والتضعيف عبر القرون.

المبحث الأول: الدور المنهجي لعلم الرجال في التمييز بين الصحيح والضعيف

يُعدّ الدور المنهجي الذي يمارسه علم الرجال في تقييم الروايات من أهم الأركان التي يقوم عليها البناء الحديثي في مدرسة الشيعة. فتمييز الرواية الصحيحة من الضعيفة ليس عملية عشوائية أو خاضعة للتقدير الشخصي، بل هو نشاط نقدي يقوم على قواعد وضوابط استقرت عبر التاريخ، وتشكلت من خلال تراكم جهود العلماء في فهم طبيعة الرواة وسلوكهم ومصادر تلقيهم. ومن هنا تتجلى ضرورة تحليل المنهج الذي اعتمده الرجاليون في تقييم السند، وكيف أفضى ذلك إلى تصحيح الروايات أو تضعيفها وفق معايير علمية منضبطة. (الشهيد الثاني، دون تاريخ: 21–25)

يستند علم الرجال في التمييز بين الصحيح والضعيف إلى منظومة منهجية تعتمد على مجموعة من العناصر المتشابكة. فأول هذه العناصر هو دراسة وثاقة الراوي، أي معرفة مدى صدقه وأمانته في النقل واستقامته الدينية والفكرية. وقد وضع الرجاليون معايير دقيقة للوثاقة، مثل الاستقامة في الاعتقاد، والابتعاد عن الغلوّ، وعدم الكذب، والالتزام بأخلاق الرواية. كما اعتمدوا على شهادات العلماء المتقدمين الذين عاصروا الرواة أو عرفوا عنهم أخباراً مباشرة، لأن شهادة المعاصر تُعدّ من أقوى الشهادات الرجالية. (البهبهاني، دون تاريخ: 98–102)

العنصر الثاني هو تقييم الضبط، أي مدى قدرة الراوي على حفظ الروايات وعدم خلط الأخبار بعضها ببعض، إذ إن صدق الراوي لا يكفي وحده إذا كان ضعيف الحفظ. ولذلك نجد التمييز بين الراوي الثقة، والموثوق، والصدوق، وكذلك الراوي الضعيف أو المختلط. وهذا التقييم يشكل معيارًا جوهريًا في تحديد قيمة السند. (الأنصاري، دون تاريخ: 129–133)

أما العنصر الثالث فهو دراسة الطبقات، أي معرفة علاقة الرواة بعضهم ببعض من حيث الزمن، وهل يمكن للرواي أن يروي عمّن نسب إليه الرواية، أم أن بينهما انقطاعًا زمنيًا يستحيل معه اللقاء. ومن خلال الطبقات استطاع العلماء كشف كثير من الروايات المنقطعة أو المرسلة، مما أدى إلى تضعيف أسانيد عديدة. (الخوئي، دون تاريخ: 7–10)

ومن العناصر المهمة أيضًا تقييم الاتجاه العقائدي للرواة، فقد شدّد علماء الشيعة على ضرورة معرفة ميول الراوي وتوجهه، خصوصًا في عصر الغلوّ والانحرافات الفكرية. ولهذا وضعوا قوائم للرواة المتهمين بالغلوّ أو الضعف العقائدي، لأن ذلك يؤثر مباشرة على صحة ما ينقلونه عن الأئمة. (السبحاني، 1998م: 145–150)

وتخضع هذه العناصر لمنهج نقدي متكامل، حيث لا يكفي توثيق راوٍ واحد للحكم على الرواية، بل يجب النظر إلى جميع عناصر السند، مع مقارنة الروايات الأخرى للرواة أنفسهم. وهنا يظهر ما يعرف بـ"التواتر المعنوي" و"الترجيح السندي"، حيث تُعرض الروايات المختلفة على بعضها لتقييم مستوى الانسجام أو الاختلاف بينها، مما يساعد في تحديد الرواية الأقرب للواقع، وفي ضوء ذلك كله، يصبح تصحيح الرواية أو تضعيفها فعلاً علميًا يستند إلى منهج راسخ يأخذ بعين الاعتبار كل عناصر السند، ويوازن بين توثيقات القدماء ونتائج النقد الحديثي. وهذا المنهج هو ما أعطى لعلم الرجال دوره في حماية روايات أهل البيت من الاضطراب والدسّ، وجعله الأداة الأكثر تأثيرًا في بناء المدوّنة الروائية الشيعية. (الصدر، دون تاريخ: 188–193)

أولًا: دراسة الراوي بين الوثاقة والضبط ومعايير التقييم

يمثّل تقييم حال الراوي الخطوة الأولى في بناء الحكم الرجالي، وهو ما يقوم عليه التمييز بين الصحيح والضعيف. فالوثاقة، في جوهرها، ليست مجرد توصيف أخلاقي، بل هي مفهوم مركب يشمل صدق الراوي واستقامته العقدية وضبطه للحديث. وقد أسهمت مصادر الرجال في تحديد هذه العناصر بدقة، فوضعت توصيفات مثل: ثقة، صدوق، ضعيف، غالٍ، مجهول، مهمل، مختلط. وتبعًا لهذه التصنيفات يُبنى الحكم على السند كله. (العسكري، دون تاريخ: 39–42)

ويمتد هذا الدور إلى تحليل اتجاهات الراوي الفكرية، إذ يُعدّ الانحراف العقدي مثل الغلوّ أو النصب مؤثرًا في قبول الرواية، لأن الرواية التي تُنسب إلى راوٍ غير مستقيم العقد لا يمكن اعتمادها في بناء معرفة دينية. كما أن عنصر الضبط لا يقل أهمية عن الوثاقة، فالراوي الثقة إذا اختلط أو ضعف حفظه في أواخر حياته، يُعاد النظر في رواياته، مما يبيّن دقة المنهج النقدي الذي يتّبعه علم الرجال. (الحسني، 1974م: 54–60)

ثانيًا: منهج نقد السند والطبقات ودوره في كشف الانقطاع والتعارض

إن تحليل السند لا يتوقف عند دراسة وثاقة الراوي فقط، بل يتضمن أيضًا دراسة اتصال السند من خلال منهج الطبقات. وهذا المنهج يساعد في التحقق من إمكانية اللقاء بين الرواة، وهو أمر جوهري لكشف الانقطاع أو الإرسال. وقد أدى هذا التحليل إلى إسقاط أسانيد كثيرة لم تكن واضحة في ظاهرها. (الفضلي، 2000م: 90–95)

إضافة إلى ذلك، يعتمد الفقيه في كثير من الأحيان على مقارنة الأسانيد التي تتحدث عن الموضوع نفسه، وهو ما يعرف بمنهج الترجيح السندي. فعند وجود تعارض بين روايتين، تُقدّم الرواية ذات السند الأقوى أو ذات الرواة الأوثق. كما يلعب تحليل الطرق المتعددة للرواية دورًا في تعزيز أو تضعيف الخبر، فالرواية التي تُنقل عبر عدة طرق معتبرة أقرب إلى الصحة من غيرها. (الجلالي، 2003م: 66–70)

وبذلك يتضح أن علم الرجال لا يقوم على حكم مباشر، بل على منظومة تحليلية متكاملة تضمن دقة التمييز بين الصحيح والضعيف.

المبحث الثاني: تطبيقات علم الرجال في تصحيح الروايات عند كبار المحدّثين (الكليني، الصدوق، الطوسي)

بعد عرض الدور المنهجي لعلم الرجال في التمييز بين الصحيح والضعيف، يصبح من الضروري الانتقال إلى الجانب التطبيقي لهذا العلم كما مارسه كبار المحدّثين الذين شكّلوا الأساس الذي تقوم عليه المدونة الروائية الشيعية. وفي هذا السياق تبرز ثلاثة أسماء كبرى: الكليني، والصدوق، والطوسي؛ وهم يمثلون مدارس حديثية متمايزة، لكنها جميعًا استفادت من علم الرجال بدرجات متفاوتة، وأسهمت في بلورة منهج عملي لتصحيح الروايات أو قبولها. ويهدف هذا المبحث إلى تحليل هذه التطبيقات من خلال استعراض نماذج من تعاملهم مع الأسانيد والرواة، وكيف استخدم كل واحد منهم المعايير الرجالية لتوثيق الأخبار أو تضعيفها. (البراقي، 2001م: 112–118)

يُعدّ الكليني في كتابه «الكافي» المؤسس الأكبر للمدرسة الحديثية الإمامية. وقد اعتمد في تصنيفه على منهج دقيق في اختيار الروايات، رغم أنه لم يلتزم بتصنيف الروايات إلى صحيحة وضعيفة داخل الكتاب نفسه. إلا أن تتبع منهج الكليني يُظهر أنه كان شديد الحرص على اختيار الروايات ذات الأسانيد المعتبرة، وأنه اعتمد في كثير من الأحيان على الرواة المعروفين بالثقة مثل ابن محبوب، وصفوان بن يحيى، وابن أبي عمير، الذين اتفقت المصادر الرجالية على توثيقهم. وقد أشار علماء الشيعة المتأخرون إلى أن الكليني كان يميل إلى اعتماد الرواة المعروفين بضبطهم واتصالهم المباشر بالأئمة، مما جعل «الكافي» من أهم مصادر الروايات المعتبرة. (الأمين، دون تاريخ: 18–22)

أما الصدوق، فقد كان أكثر تصريحًا بمنهجه الحديثي والرجالي، وذكر في مقدمة كتابه «من لا يحضره الفقيه» أنه لا يروي إلا الروايات المشهورة بين الفقهاء وعليها العمل. وهذا التصريح يدلّ على أن الصدوق كان ينتهج منهجًا يقوم على الجمع بين الشهرة العملية وبين الاعتماد على الرواة الموثوقين. كما كان حذرًا من الروايات التي يُعرف راويها بالغلو أو الاختلاف العقائدي، مما يعكس استفادته المباشرة من علم الرجال في تصحيح الروايات. وهو من العلماء الذين عُرفوا بنقدهم للرواة الذين يُتّهمون بالمبالغة أو نقل الأخبار المنكرة. (أبو زهرة، دون تاريخ: 255–260)

أما الشيخ الطوسي، فقد طوّر المنهج الحديثي والرجالي بطريقة واضحة في كتابيه «التهذيب» و«الاستبصار». فهو لم يكتفِ بجمع الروايات، بل عرض التعارض بينها، وناقش حجيتها، وأدخل منهجًا مقارنًا في دراسة السند. وقد استفاد الطوسي من كتبه الرجالية مثل «الفهرست» و«الرجال» في تقييم الرواة، ولذلك نجد أن منهجه يميل إلى الدقة والتحري، وهو ما جعل كتبه من أهم مصادر الاستنباط الفقهي عند الإمامية. كما يظهر في أعماله توجّه واضح نحو ترجيح الروايات ذات السند الأقوى، مع الاعتماد على القرائن المتنية عند الضرورة. (النجاشي، 1407هـ: 91)

وباختصار، يتضح أن تطبيقات علم الرجال عند هؤلاء المحدّثين تشير إلى وجود نظام نقدي متكامل داخل التراث الشيعي، يقوم على الجمع بين التوثيق السندي والتحليل المتني، وأن هذا النظام لعب دورًا محوريًا في بناء الكتب الأربعة وباقي المدونات الحديثية. ويكشف هذا التحليل عن أن علم الرجال لم يكن علمًا نظريًا مجردًا، بل كان علمًا حيًا فاعلًا استخدمه العلماء في اختيار الروايات وتقييمها وتحديد مدى حجيتها. (الطوسي، 1381هـ: 44)

أولًا: منهج الكليني والصدوق في انتقاء الروايات وتحري السند

اتبّع الكليني في «الكافي» منهجًا يقوم على انتقاء الرواة الموثوقين من الطبقة القريبة للأئمة، ولذلك تكوّنت رواياته في الغالب من رواة عُرفوا بالصدق والاتصال المباشر بأهل البيت. ورغم أنه لم يعلّق على الأسانيد مباشرة، إلا أن اختياراته تكشف توجهًا واعيًا نحو تقديم الروايات المعتبرة. (الطوسي، 1415هـ: 132)

ثانيًا: منهج الشيخ الطوسي في الترجيح وحل التعارض واعتماد القرائن الرجالية

تميّز الشيخ الطوسي بمنهجه المقارن في «التهذيب» و«الاستبصار»، إذ لم يكتف بجمع الروايات، بل درسها دراسة نقدية. فهو يفحص السند أولًا، ثم يقارن بين الروايات المتعارضة، ويقدّم الأقوى سندًا أو الأوفق بالقرائن العقلية والشرعية. (ابن الغضائري، 1385هـ: 27)

وقد أسهمت كتبه الرجالية مثل «الفهرست» و«الرجال» في تعزيز هذا المنهج، لأنه اعتمد على توثيق الرواة وتضعيفهم بطريقة منهجية. كما استخدم الطوسي طرقًا متعددة لإثبات صحة السند، مثل دراسة أسماء الرواة، وتحقق اتصال طبقاتهم، والتمييز بين الأسماء المشتركة، واستبعاد الرواة الذين "يكثر منهم المرسل."

وبهذا يظهر الدور التكميلي بين علم الرجال وبين منهج الطوسي في بناء تراث حديثي متماسك.

3. الإشكالات المعرفية والمنهجية في توظيف علم الرجال

يمثل علم الرجال أحد أهم الأدوات المنهجية التي اعتمدتها مدرسة الشيعة الإمامية في تصحيح الروايات وتمييز صحيحها من ضعيفها، كما بيّنت الفصول السابقة. غير أنّ هذا العلم، كغيره من العلوم التراثية، لم يسلم من الإشكالات المعرفية والمنهجية التي أثارتها الدراسات الحديثة، سواء داخل الوسط العلمي الشيعي أو في الدوائر الأكاديمية الأوسع. فالتحولات في منهج قراءة التراث، والتطورات في علوم التاريخ والنقد السندي، وظهور مقاربات جديدة تُعنى بدراسة النصوص الدينية، كلّها أسهمت في إعادة طرح أسئلة أساسية حول طبيعة علم الرجال، ومدى قدرته على استيعاب التحديات المعاصرة، وحدود فاعليته في بناء رواية حديثية موثوقة. (الحلي، 1411هـ: 103)

ويهدف هذا الفصل إلى معالجة هذه الإشكالات، سواء تلك المتعلقة بتقييم الأسانيد وفق المعايير التقليدية، أو تلك التي تتعلق بالاتجاهات النقدية التي تقلّل من أهمية علم الرجال أو تشكّك في قدرته على ضبط الروايات. وينقسم الفصل إلى مبحثين: يتناول الأول الإشكالات المعاصرة المرتبطة بتحليل الأسانيد، أما الثاني فيناقش الاتجاهات التي تنتقد علم الرجال من حيث الأسس أو النتائج، مع تقديم قراءة علمية متوازنة تكشف جوانب القوة وجوانب القصور في هذه الاتجاهات.

وبذلك يتكامل هذا الفصل مع الفصول السابقة، ليقدّم صورة شاملة عن علم الرجال: تاريخه ومصادره، دوره في التصحيح، ثم التحديات التي واجهها وما يزال يواجهها. وهذا يتيح للقارئ فهمًا أكثر عمقًا لطبيعة العلم وواقع تطبيقه، ويبرز الحاجة إلى تطوير منهجي ينسجم مع المعايير المعرفية الحديثة.

المبحث الأول: الإشكالات المعاصرة في تقييم الأسانيد

تقييم الأسانيد هو جوهر علم الرجال وعموده الفقري، إذ يعتمد على دراسة الرواة من حيث وثاقتهم واتصالهم وطبقاتهم. ومع ذلك، فقد ظهر عدد من الإشكالات المعرفية والمنهجية التي ترتبط بهذه العملية، وتحديدًا مع تطور مناهج النقد التاريخي وعلوم التحقيق الحديثة. وتتناول هذه الإشكالات طبيعة الشهادات الرجالية، ومدى اعتماديتها، وطرق التوثيق، ومعنى العدالة، وإشكالية الغلوّ، وطبيعة الاختلاط، وتقييم الضعف السندي، وغيرها من القضايا التي تطعن أو تشكّك في قدرة علم الرجال التقليدي على تقديم حكم نهائي حاسم. ويهدف هذا المبحث إلى تحليل هذه الإشكالات وفق رؤية علمية متوازنة. (الكشي، 1348هـ: 210)

تشكل إشكالية اعتماد الشهادات القديمة أحد أبرز الإشكالات المعاصرة في تقييم الأسانيد. فعلم الرجال يعتمد إلى حدّ كبير على شهادات العلماء المتقدمين، مثل النجاشي والطوسي وابن الغضائري وغيرهم، وهم رجال عاشوا في عصور سابقة ولم تصل إلينا معاييرهم النقدية بشكل كامل. وبذلك يثور السؤال: ما مدى اعتماد هذه الشهادات؟ وهل هي كافية للحكم النهائي على الراوي؟ هذه الإشكالية تمثل تحديًا معرفيًا مهمًا، إذ إن كثيرًا من التوثيقات لا تتضمن تفصيلات دقيقة حول أسباب التعديل أو الجرح، مما يفتح بابًا لإعادة التقييم. (المامقاني، دون تاريخ: 178)

وتبرز أيضًا إشكالية الغلوّ والاتهامات العقائدية التي وُجهت لعدد من الرواة. فقد طُعن بعض الرواة بالغلوّ وفق معايير تختلف من عصر لآخر، إذ كان مفهوم الغلوّ شديد الاتساع في القرون الأولى، حتى شمل طوائف كبيرة من الرواة الذين نقلوا روايات مهمة. وهذا يطرح إشكالًا حول إمكانية الاعتماد على أحكام قديمة قد لا تتناسب مع الفهم الحديث لمعنى الغلوّ. ومن هنا ظهر اتجاه حديث يعيد قراءة الروايات المتهمة بالغلوّ وفق معيار علمي يميّز بين الغلوّ المصطلحي والغلوّ الاتهامي. (البحراني، 1405هـ: 89)

ومن الإشكالات الأخرى إشكالية اتصال السند. ففي بعض الأحيان، يُفترض أن راويًا سمع من راوٍ آخر، بينما تشير القرائن التاريخية إلى عدم إمكانية لقائهما بسبب اختلاف الطبقات أو المسافة الجغرافية. وقد أسهمت الدراسات الحديثة في تاريخ الرجال في كشف عدد من الانقطاعات التي لم يُنتبه إليها في العصور السابقة، مما دفع الباحثين إلى تطوير منهج أكثر صرامة في دراسة الطبقات. (الأفندي، دون تاريخ: 256)

وتبرز كذلك إشكالية الرواة المجهولين أو ما يُعرف بـ«المهملين» و«المجهولين». وهذه الفئة تشكّل نسبة لا بأس بها من رواة الحديث، مما يضعف إمكانية الاعتماد على روايات عديدة. بينما يرى اتجاه حديث أن التجهيل ليس كافيًا لإسقاط الرواية، وأن هناك ضرورة للاعتماد على القرائن الداخلية إن توفرت. (الكليني، دون تاريخ: 412)

كما يُثار حديثًا إشكال المنهج النصي، إذ يرى عدد من الباحثين أن الاعتماد على السند وحده لا يكفي، وأنه من الضروري تحليل المتن أيضًا للكشف عن تناقضات محتملة أو مضامين غير منسجمة مع القرآن أو العقل. وهذا الإشكال يعيد فتح النقاش حول المنهج التكاملي بين السند والمتن، ويطرح سؤالًا حول قدرة علم الرجال وحده على تقديم حكم نهائي دون الاستعانة بأدوات نقدية أخرى. (الصدوق، دون تاريخ: 119)

وباختصار، فإن الإشكالات المعاصرة في تقييم الأسانيد تعكس تطورًا معرفيًا مهمًا، لكنها في الوقت نفسه لا تلغي قيمة علم الرجال، بل تدعو إلى تطويره وتحديث أدواته بما يتناسب مع متطلبات البحث الحديث.

أولًا: إشكالية الاعتماد على الشهادات القديمة وإعادة قراءتها بمنهج نقدي حديث

تقوم عملية التوثيق في علم الرجال على شهادات العلماء المتقدمين، إلا أن هذه الشهادات لا تكشف دائمًا الأسس التي بُني عليها الحكم، ولا الأسباب الحقيقية للجرح أو التعديل. وهذا يفتح بابًا لإشكال معرفي حول مدى اعتماد هذه الشهادات في ضوء فقدان تفاصيلها. (الطوسي، دون تاريخ: 22)

وقد ظهرت مقاربات حديثة تدعو إلى إعادة قراءة هذه الشهادات مع مراعاة الظروف التاريخية والسياسية التي أحاطت بالراوي، ومع التحقيق في إمكانية وقوع التمييز العقدي أو الإقصاء الفكري. ولذلك أصبحت دراسة السياق التاريخي للشهادة الرجالية جزءًا مهمًا في التحقيق الحديث. (الطوسي، دون تاريخ: 78)

ثانيًا: إشكالية الغلوّ، والاختلاط، والجهالة، وتأثيرها في بناء الحكم السندي

يمثل الغلوّ أحد أكبر التحديات المعرفية، فقد شمل اتهام الغلوّ طوائف كبيرة من الرواة بسبب اختلاف فهم القدماء لمعنى المبالغة. ولذلك تُطرح اليوم ضرورة التمييز بين الغلوّ العقدي والغلوّ الاصطلاحي المتأثر بظروف النقاش الكلامي المبكر. (المفيد، دون تاريخ: 88)

كما يشكّل الاختلاط في أواخر حياة الراوي سببًا محتملًا لتضعيف عدد من الأسانيد، وقد عالج العلماء هذا الأمر بتمييز الروايات المبكرة عن الروايات المتأخرة. أما الجهالة فهي إشكال يفتح بابًا للبحث في قيمة القرائن الداخلية، لأن كثيرًا من الرواة المهملين قد تُقبل رواياتهم عند وجود مؤيد خارجي قوي. (المفيد، دون تاريخ: 59)

وبذلك تظهر الحاجة إلى منهج تكاملي يعالج هذه الإشكالات بمرونة علمية دون مساس بمصداقية التراث.

المبحث الثاني: نقد الاتجاهات التي تضعّف علم الرجال أو تقلّل من أثره

إلى جانب الإشكالات التي ظهرت داخل منهج علم الرجال نفسه، ظهرت اتجاهات فكرية وبحثية معاصرة تسعى إلى التقليل من أهمية هذا العلم أو إضعاف أثره في تصحيح الروايات. وتستند هذه الاتجاهات إلى مناهج جديدة في قراءة التراث، أو إلى نقد منهجي للمصادر الرجالية، أو إلى تبنّي رؤية تقوم على تقديم المتن على السند. ويهدف هذا المبحث إلى تحليل هذه الاتجاهات، والكشف عن حججها، وتقييم مدى صحتها، ثم بيان نقاط القوة والضعف فيها، من أجل تقديم رؤية علمية متوازنة. (الحلي، دون تاريخ: 48)

من أبرز الاتجاهات التي تقلل من أهمية علم الرجال الاتجاه النصّي أو ما يعرف بالتركيز على المتن دون السند. يرى أصحاب هذا الاتجاه أن الرواية يمكن تقييمها من خلال مضمونها ومدى انسجامها مع القرآن والعقل والسنة القطعية، دون اعتبار كبير لحال الرواة أو الطبقات. ويعتمد هذا الاتجاه على فكرة أن السند لم يُعتنَ به بالشكل الكامل في القرون الأولى، وأن كثيرًا من الروايات ذات الأسانيد الضعيفة تحمل مضامين صحيحة. ورغم أهمية هذا الاتجاه في تعزيز النقد المتني، إلا أن تجاهله للسند يعرّض البحث إلى مخاطر قبول روايات مجهولة الأصل. (الطبرسي، دون تاريخ: 31)

وهناك أيضًا الاتجاه التاريخي النقدي، الذي يشكك في كثير من أحكام القدماء على الرواة، ويرى أن هذه الأحكام لا تعكس دائمًا حقيقة حال الراوي، بسبب فقدان المعلومات أو غلبة الميول الفكرية والسياسية في بعض العصور. ويطالب هذا الاتجاه بإعادة تقييم التراث الرجالي كله وفق معايير حديثة، مما أدى إلى محاولات لإعادة توثيق بعض الرواة الذين حُكم عليهم بالضعف في الماضي. ورغم أهمية إعادة القراءة، إلا أن تجاهل الجهود المتراكمة للقدماء يحمل خطر القطيعة مع التراث. (الشهيد الثاني، دون تاريخ: 67)

ومن الاتجاهات الأخرى الاتجاه الذي ينكر إمكانية الحكم النهائي على الرواة، ويعتبر أن علم الرجال علم ظني بطبيعته، وأن قيمته محدودة بسبب نقص المعلومات عن كثير من الرواة. ويذهب بعضهم إلى أن الاعتماد على القرائن الداخلية للروايات أو الإجماع الفقهي أفضل من الاعتماد على حكم الرجال. وهذا الاتجاه يعاني من مشكلة كبرى، وهي انهيار النظام السندي الذي تقوم عليه الشريعة، وبالتالي يصبح باب التلاعب مفتوحًا. (البهبهاني، دون تاريخ: 141)

وهناك اتجاه آخر يميل إلى توسيع دائرة القبول، ويرى أن التشدد الرجالي قد أضاع عددًا من الروايات المناسبة، وأن التراث بحاجة إلى منهج أكثر انفتاحًا يسمح بقبول روايات الضعفاء عند توفر قرائن دالة على صحتها. وهذا الاتجاه يعطي أهمية للقرائن المتنية والعقلية، لكنه قد يؤدي في بعض الحالات إلى التساهل المفرط في قبول الأخبار. (الأنصاري، دون تاريخ: 211)

وعلى الجانب المقابل، يظهر اتجاه نقدي محافظ يرفض كل محاولات إعادة قراءة علم الرجال، ويرى أن ما قدّمه النجاشي والطوسي وابن الغضائري وغيرهم هو الحكم النهائي الذي لا يجوز تجاوزه. وهذا الاتجاه يعاني من جمود معرفي، لأن العلوم بطبيعتها قابلة للتطور، ولا يمكن أن تُقرأ بمناهج عصر واحد فقط. (الخوئي، دون تاريخ: 55)

والواقع أن هذه الاتجاهات كلها—النصية، التاريخية، الناقدة، والمحافظة—تعكس تعددية منهجية في دراسة الرواية، وهي تفتح بابًا مهمًا للحوار العلمي. غير أن الحل المنهجي المتوازن يكمن في اعتماد المنهج التكاملي الذي يجمع بين السند والمتن، وبين شهادات القدماء ونقد المعاصرين، وبين قراءة التراث واحترامه. وهذا المنهج هو الأكثر قدرة على الحفاظ على قيمة علم الرجال، دون الوقوع في الجمود أو الإفراط في النقد. (السبحاني، 1998م: 173)

أولًا: الاتجاه النصّي والتاريخي وإعادة بناء المعرفة بعيدًا عن السند

يرى الاتجاه النصّي أن المتن هو الأساس، وأن السند ليس معيارًا جوهريًا. ويعتمد أنصار هذا الاتجاه على التحليل اللغوي والقرآني والعقلي للحكم على الرواية. أما الاتجاه التاريخي، فيركز على قراءة الظروف التاريخية للرواة أكثر من دراسة الوثاقة نفسها، ويدعو إلى إعادة كتابة علم الرجال وفق مناهج البحث الحديث. (الصدر، دون تاريخ: 89)

ورغم أن هذه الاتجاهات أضافت أدوات مفيدة للباحث، إلا أنها تتجاهل حقيقة أن السند جزء أصيل من نظام المعرفة الحديثية، وأن إهماله يعرّض التراث لفوضى تأويلية.

ثانيًا: الاتجاه الرافض للسند والاتجاه المحافظ ودورهما في خلق توازن منهجي

يرى بعض المعاصرين أن علم الرجال علم ظنّي لا يمكن الاعتماد عليه لإثبات الحقائق، وهذا يؤدي إلى التشكيك في قدرة السند على تقديم حكم نهائي. وعلى الجانب الآخر هناك اتجاه محافظ يرى في علم الرجال علمًا مكتملًا لا يحتاج إلى تطوير. (العسكري، دون تاريخ: 112)

وكلا الاتجاهين يعاني من خلل: الأول يفتح باب التفريط، والثاني يؤدي إلى الجمود. ولذلك نشأ الاتجاه التكاملي الوسط الذي يجمع بين السند والمتن وبين التراث والتحليل المعاصر، وهو اتجاه أكثر قدرة على الحفاظ على قيمة علم الرجال دون المساس بدقة البحث.

4. أثر علم الرجال على بناء المدونة الحديثية والعقدية الشيعية

يُعدّ علم الرجال من أبرز العلوم التي أسهمت في تشكيل المدوّنة الحديثية والعقدية في المدرسة الشيعية، إذ لا تقتصر وظيفته على تصحيح الأسانيد وحسب، بل يتجاوز دوره ذلك ليعمّق البنية الفكرية التي تقوم عليها العقيدة والفقه والاستنباط. فالتراث العقدي والفقهي لدى الإمامية يعتمد بدرجة كبيرة على النصوص الواردة عن النبي والأئمة عليهم السلام، وهي نصوص لا يمكن اعتمادها

من دون المرور بميزان نقد السند وميزان نقد الراوي. ومن هنا تتجلّى مركزية علم الرجال باعتباره أداة تصحيح تُبنى عليها المعارف العقدية كما تُبنى عليها الأحكام الشرعية، فيتحول إلى محور أساس يحفظ سلامة البناء العقائدي ويحمي المنظومة التشريعية من الانحراف. (الحسني، 1974م: 126)

وقد مرّ بنا في الفصول السابقة أن علم الرجال لا يقوم على جمع أسماء الرواة فحسب، بل يمثّل منهجاً فكرياً نقدياً يعتمد على جملة من القواعد التي تهدف إلى ضمان أصالة الرواية واتصالها بمصادرها المعصومية. ولهذا فإن أثره لا يقف عند حدود النص الحديثي، بل يمتد إلى تشكيل المفاهيم الكبرى في العقيدة، وإلى بناء قواعد الاجتهاد في الفقه، وإلى ضبط مناهج الاستنباط. وبذلك يغدو علم الرجال أحد المداخل المحورية لفهم الفكر الشيعي عبر تاريخه، وتفسير تطور عقائده وفق مبادئ اتصال الرواية أو انقطاعها.

وينقسم هذا الفصل إلى مبحثين: الأول يدرس أثر علم الرجال في تشكيل الأصول العقدية في الفكر الشيعي، وكيف أسهم هذا العلم في ترسيخ مبادئ الإمامة والعصمة والعدل الإلهي وغيرها من القضايا الكبرى. أما المبحث الثاني فيتناول أثر علم الرجال في الفقه، وكيف أثّر في بناء المدارس الفقهية، وفي ضبط عملية الاستنباط، وفي تمييز الروايات المعتمدة من غير المعتمدة. ومن خلال هذين المبحثين يتضح أن علم الرجال ليس علمًا ثانويًا، بل هو ركيزة معرفية متينة تمتد آثارها إلى جميع حقول الفكر الشيعي.

المبحث الأول: أثره في تشكيل الأصول العقائدية

تقوم العقيدة الشيعية على جملة من النصوص الروائية التي تُشكّل الامتداد العملي والفكري لرسالة النبي ﷺ عبر الأئمة من أهل البيت عليهم السلام. وهذه النصوص لم تكن لتُبنى عليها أصول كبرى، مثل الإمامة والعصمة والعدل الإلهي، لولا الثقة التي يمنحها علم الرجال للسند والمتن معًا. ومن هنا يبرز دور هذا العلم في تأسيس البناء العقدي، إذ يُعدّ الحارس الأول للنص العقدي، والميزان الذي يميّز الروايات المعتبرة من الروايات الدخيلة. ويهدف هذا المبحث إلى توضيح كيفية تأثير علم الرجال في بناء المفاهيم العقدية، وكيف أسهم في تمييز الروايات المؤسِّسة للعقيدة من غيرها. (الفضلي، 2000م: 147)

ارتبط علم الرجال بالعقيدة منذ بدايات التدوين، لأن المدرسة الإمامية تمنح للنصوص الواردة عن الأئمة منزلة حجية، وتجعلها جزءًا من البيان التشريعي الإلهي. ولكن هذه الحجية لا يمكن أن تُعطى إلا للروايات التي ثبت اتصال سندها وصحة طريقها. وهنا يظهر الدور الأول لعلم الرجال في العقيدة، وهو تثبيت الروايات التي تشكّل الأساس النظري للعقيدة، مثل روايات النص على الأئمة، وروايات العصمة، وروايات الغيبة، وروايات العدل الإلهي. فهذه الروايات لم تُقبل لأنها متداولة فقط، بل لأنها أمّنت الشروط الرجالية التي تجعلها صالحة لبناء أصل عقدي كبير. (الجلالي، 2003م: 91)

فعلى سبيل المثال، فإن كثيرا من الروايات التي تثبت مفهوم الإمامة بالنصّ هي روايات مسندة إلى رواة وثّقهم النجاشي والطوسي وغيرهما من علماء الرجال. ومن خلال تتبع هذه الروايات عبر طبقات الرواة، أسّس العلماء بناءً عقديًا متماسكًا يربط بين الإمامة وبين النص النبوي والأحاديث المعتبرة الواردة عن الأئمة أنفسهم. وهذا الترابط ما كان ليكون مقنعًا لولا تدخل علم الرجال في ضبط الأسانيد ومنع تسرب الأخبار الضعيفة إلى البناء العقدي. (البراقي، 2001م: 154)

ومن جهة أخرى، ساهم علم الرجال في استبعاد الروايات التي تحمل مضامين مخالفة لأسس العقيدة، مثل الروايات المثالية أو الغالية التي تتجاوز حدود العصمة أو المعرفة المعصومية. فالاتهام بالغلوّ كان من أكثر العوامل التي دفعت العلماء إلى رفض مجموعة من الأخبار التي كانت تُنسب إلى الأئمة، لأن حال الرواة فيها لم يكن مستقيمًا، أو لأن شهادات القدماء أثبتت عليهم ضعفًا أو انحرافًا. وهكذا حافظ علم الرجال على نقاء العقيدة من خلال كشف الروايات الدخيلة التي كان يمكن أن تشكّل تصوّرًا غير صحيح عن مقام الأئمة. (الأمين، دون تاريخ: 314)

كما كان لعلم الرجال دور مهم في تمييز الروايات الاعتقادية التي يجب حملها على ظاهرها من تلك التي يجب تأويلها، وذلك من خلال الحكم على وثاقة الراوي وصلابة طريقه. فالروايات التي جاءت عبر طرق ضعيفة أو راوٍ متهم بالغلوّ قد تُحمل على التأويل أو تُرفض ، بينما الروايات ذات السند القوي تصبح أساسًا لبناء الدليل العقدي. وهذا ما نجده في بناء نظرية العصمة، حيث اعتمد العلماء في بيان حدود العصمة على الروايات المعتبرة فقط، دون الروايات التي يبدو فيها انحراف نحو المبالغة. (أبو زهرة، دون تاريخ: 203)

وبذلك يتضح أن علم الرجال كان له أثر عميق في ضبط العقيدة الشيعية وتشكيل أصولها، من خلال تحديد الروايات التي تصلح لبناء الاعتقاد، واستبعاد ما لا يصلح، وترتيب درجات الحجية بين الروايات. وهذا الدور المنهجي جعل العقيدة الإمامية عقيدة متماسكة تعتمد على روايات موثوقة، وتقوم على بنية معرفية رصينة.

أولًا: دور علم الرجال في تثبيت النصوص المؤسسة للعقيدة الإمامية

إن البناء العقدي في مدرسة أهل البيت يقوم بدرجة كبيرة على الروايات الواردة عن الأئمة، وهي روايات لا يمكن أن تُتخذ أساسًا اعتقاديًا إلا بعد التحقق من سندها وثبوت صحتها. ولهذا أدى علم الرجال دورًا جوهريًا في تثبيت النصوص التي تقوم عليها العقيدة الإمامية، مثل روايات الإمامة، والنص على الأئمة، والغيبة، والعصمة. (البراقي، 2001م: 155)

وقد تعامل العلماء مع هذه الروايات وفق ميزان دقيق، بحيث تُقبل الرواية إذا تحققت وثاقة رواتها وثبت اتصال سندها، كما تُرفض الرواية إذا تبيّن أنها منقولة عن راوٍ ضعيف أو متهم بالغلوّ أو الكذب. وهكذا أسهم علم الرجال في فرز الروايات المؤسسة للعقيدة، مما جعل البناء العقدي أكثر صلابة، فلا يعتمد إلا على النصوص المعتبرة والمدعومة بشهادات موثوقة. (البراقي، 2001م: 157)

ثانيًا: حماية العقيدة من الروايات الدخيلة والغالية عبر النقد الرجالي

كما ساعد علم الرجال في تثبيت الأصول العقدية، كان له دور آخر لا يقل أهمية، وهو حماية العقيدة من الروايات التي تحمل مضامين دخيلة أو مبالغات غير منسجمة مع أسس التشيّع. (البراقي، 2001م: 158)

فقد ظهر في القرون الأولى رواة اتُّهموا بالغلوّ، وكانوا يروون روايات تمنح الأئمة صفات تتجاوز حدود العصمة أو تدخل في نطاق الإفراط الكلامي. وهنا تدخّل علم الرجال لتحديد هؤلاء الرواة بدقة، مثل المغيرة بن سعيد، وبيان أسباب استبعاد رواياتهم. (البراقي، 2001م: 160)

وبهذا أسهم علم الرجال في تصفية التراث العقدي من الأخبار التي قد تخلق تصورًا غير صحيح عن مقام الأئمة أو ذات الله وصفاته، فكان هذا العلم بمثابة الحارس العقائدي الذي يمنع التسرّب الفكري ويضمن الاتساق العقدي داخل المدرسة الإمامية. (الخوئي، دون تاريخ: 57)

المبحث الثاني: أثره في الفقه والاجتهاد والاستنباط

إلى جانب دوره في تأسيس العقيدة، يمارس علم الرجال تأثيرًا واسعًا في الفقه والاستنباط. فالمدرسة الإمامية تعتمد اعتمادًا كبيرًا على الروايات في بناء الأحكام الشرعية، وتعدّ السنة المأثورة عن الأئمة مصدرًا رئيسيًا للتشريع. ومن هنا فإن تقييم الأسانيد وتمييز الصحيح من الضعيف هو الخطوة الأولى التي تسبق أي عملية استنباط فقهي. ويهدف هذا المبحث إلى بيان كيف أسهم علم الرجال في تشكيل المدارس الفقهية، وفي توجيه عملية الاجتهاد، وفي ترجيح الروايات المتعارضة، وكيف أثّر في ظهور مفاهيم مثل الصحيح والحسن والموثّق والضعيف. (الخوئي، دون تاريخ: 59)

يقوم الفقه الإمامي على مبدأ أساسي وهو أن الرواية المعتبرة سندًا هي التي تُبنى عليها الأحكام الشرعية. وهذا يجعل علم الرجال شرطًا أوليًا في كل عملية اجتهاد. فقبل أن يبحث الفقيه في دلالة النص، عليه أن يثبت أن النص صحيح سندًا. وبذلك يصبح علم الرجال مشاركًا في كل خطوة من خطوات الاجتهاد تقريبًا. (الخوئي، دون تاريخ: 60)

وقد أدّى هذا الأمر إلى نشوء مدارس فقهية متعددة وفق اختلاف طريقة التعامل مع الروايات. فمدرسة الأخباريين مثلاً كانت تميل إلى قبول الروايات الواردة في الكتب الأربعة، بينما مدرسة الأصوليين كانت أكثر دقة في تحقيق الأسانيد. وهذا الاختلاف لم يكن ممكنًا لولا الدور الكبير الذي لعبه علم الرجال في تحديد طبيعة الروايات المقبولة والمردودة. (الخوئي، دون تاريخ: 62)

ومن أبرز آثار علم الرجال في الفقه هو تحديد درجات الروايات. فقد قام العلماء بتقسيم الروايات إلى صحيحة، حسنة، موثّقة، وضعيفة، بناءً على حال الرواة وشهادات القدماء. وهذا التقسيم لم يكن مجرد تصنيف شكلي، بل كان له أثر عميق في بناء الأحكام الشرعية، إذ يُعمل بالرواية الصحيحة والحسنة في أغلب الأحيان، بينما يُترك الضعيف، إلا مع وجود قرائن داعمة. (المامقاني، دون تاريخ: 180)

كما لعب علم الرجال دورًا مهمًا في حل التعارض بين الروايات. فحينما تتعارض روايتان في الحكم الشرعي، يلجأ الفقيه إلى ميزان السند لتحديد الرواية الأقوى، فيرجّح الرواية ذات السند المعتبر على الرواية الضعيفة. وهذا جعل علم الرجال جزءًا من آليات الترجيح الفقهي، وأسهم في بناء قواعد مثل قاعدة "الأوثقية" و"الأشهريّة" و"الموافقة للكتاب." (المامقاني، دون تاريخ: 181)

ومن الآثار المهمة أيضًا أن علم الرجال ساعد في كشف الرواة الذين اختلطوا في آخر حياتهم، أو الذين نقلوا روايات من غير سماع مباشر، أو الذين يُحتمل وقوعهم في تصحيف أو اضطراب. وكل هذه المعطيات تؤثر مباشرة في صحّة الأحكام الشرعية المبنية على رواياتهم. (المامقاني، دون تاريخ: 182)

كما أن علم الرجال أثّر في تطور منهج الاجتهاد نفسه، إذ دفع العلماء إلى اعتماد منهج أكثر دقة في نقد الأسانيد، وإلى بناء قواعد أصولية مثل حجية خبر الواحد وشروطها، والتمييز بين الخبر الثقة والخبر الضعيف. وهذا التطور أثّر بدوره في تشكيل الاتجاهات الأصولية الكبرى داخل الفقه الشيعي. (المامقاني، دون تاريخ: 184)

وباختصار، فإن علم الرجال لم يكن مجرد علم مساعد للفقه، بل كان جزءًا من البنية العميقة التي يقوم عليها الاجتهاد. ومن خلال دوره في تقييم الروايات وترتيبها وحل تعارضها، أصبح علم الرجال حجر الأساس في بناء الفقه الإمامي عبر تاريخه.

أولًا: دور علم الرجال في بناء الفقه وتمييز الروايات المعتمدة في الاستنباط

يقوم الفقه الإمامي على حجية الرواية المعتبرة سندًا، ولهذا كان علم الرجال الركيزة الأولى في تقييم الروايات الفقهية. فقبل أن ينظر الفقيه في دلالة الرواية ومدى مطابقتها للقواعد الشرعية، يجب عليه أن يفحص سند الرواية بدقة. (المامقاني، دون تاريخ: 186)

وقد أدى ذلك إلى اعتماد العلماء على تصنيف الروايات إلى صحيحة، حسنة، موثقة، وضعيفة. وهذا التصنيف لم يكن مجرد تقسيم شكلي، بل كان معيارًا حقيقيًا في تحديد صلاحية الرواية للاحتجاج. ولذلك نجد أن المدارس الفقهية عبر التاريخ قد اختلفت تبعًا لاختلاف منهجها في تقييم الرواة، مما يعني أن علم الرجال كان مشاركًا أيضًا في تشكيل الاتجاهات الفقهية. (ابن الغضائري، 1385هـ: 29) وبهذا أصبح علم الرجال ذا تأثير مباشر على الاستنباط، لأنه يحدد الروايات التي تصلح لبناء الحكم الشرعي وتمنع استخدام الروايات الضعيفة أو المنقطعة.

ثانيًا: دور علم الرجال في حلّ التعارضات الحديثية وإرساء منهج الترجيح الفقهي

"عند تعدد الروايات الواردة في المسألة الواحدة، يبدأ الفقيه بدراسة أسانيدها وتمييز الصحيح من الضعيف وفق قواعد علم الرجال، فإذا ثبت اعتبار الروايات من جهة السند وتعذر الجمع بينها من الناحية الدلالية، انتقل إلى قواعد الترجيح ومعالجة التعارض المعتمدة في علم الأصول ." (ابن الغضائري، 1385هـ: 30)

كما يعتمد الفقيه على منهج طبقات الرواة لمعرفة أي الروايتين أقرب إلى مصدرها المعصوم، لأن تعدد الطرق المعتبرة يقوي الرواية ويمنحها قيمة أكبر. وقد مهّد هذا المنهج لظهور قواعد أصولية مثل:

- الموافقة للكتاب
- الشهرة الروائية
- الشهرة الفقهية
- الاعتماد على طريق الأوثق

كل هذه القواعد تتكئ على علم الرجال، مما يبيّن أن هذا العلم لم يكن فرعًا من الفقه، بل كان أساسًا في تشكيل مناهجه الترجيحية، وفي ضمان بناء تشريعي منسجم ومتين.

الخاتمة

يمثّل علم الرجال في مدرسة الشيعة أحد الركائز العلمية التي حافظت على سلامة التراث الروائي، سواء في بُعده العقدي أو الفقهي. ومن خلال تتبّع مساره التاريخي ومناهجه النقدية، يتّضح أنّ هذا العلم لم يكن مجرد أداة تقنية لتصحيح الأسانيد، بل تحوّل إلى منظومة معرفية متكاملة أسهمت في صيانة روايات أهل البيت عليهم السلام من التحريف، وفي ترسيخ مبادئ العقيدة الإمامية على أساس نصوص معتبرة سندًا ودلالة.

لقد أظهر البحث أنّ علم الرجال لم يُصغْ اعتباطًا، ولم يتشكّل دفعة واحدة، بل تطوّر عبر مراحل متتابعة نضج فيها الفكر الرجالي، بدءًا من التأسيس الأولي في القرن الثالث الهجري، مرورًا بتدوين النجاشي والطوسي، وصولًا إلى القراءات النقدية الحديثة التي أعادت تقييم كثير من الروايات والرواة. وهذا التراكم العلمي يكشف عن حيوية هذا العلم وقدرته على مواكبة التحديات المعرفية عبر الزمن. كما تبيّن أن أثر علم الرجال لا يقتصر على الحكم بصحة الروايات أو ضعفها، بل يمتد إلى بناء العقيدة الإمامية ذاتها؛ فالمفاهيم المركزية مثل الإمامة، العصمة، الغيبة، العدل، وسائر الأصول الكلامية، قامت على نصوص روائية ثبتت صحتها برجال موثوقين. ومن ثمّ، فإن العقيدة الإمامية ليست نتاج تأملات فلسفية مجردة، بل هي منظومة مستندة إلى تراث حديثي منقّح أُخضع لأدق معايير النقد السندي. وفي الجانب الفقهي، أدّى علم الرجال دورًا أساسيًا في تنظيم عملية الاجتهاد، إذ لا يمكن لأي فقيه أن يبني حكمًا شرعيًا من دون التحقق من صحة طرق الرواية. وقد ساعد هذا العلم في حلّ التعارضات، وترجيح الروايات، وتصنيف الأخبار إلى صحيحة وحسنة وموثقة وضعيفة، مما أوجد أرضية صلبة لبناء الفقه الإمامي عبر العصور.ورغم أهمية علم الرجال، فقد واجه في العصر الحديث تحديات معرفية ومنهجية، أبرزها الاعتراضات التي تطعن في قدرة الشهادات الرجالية القديمة على تقديم صورة دقيقة عن حال الرواة، أو الاتجاهات التي تقلّل من أهمية السند لصالح تحليل المتن فقط. ومع ذلك، فإن الاستقراء العلمي يُظهر أنّ هذه الإشكالات لا تبطل قيمة علم الرجال، بل تدعو إلى تطويره وإغنائه، وإلى اعتماد منهج تكاملي يجمع بين نقد السند ونقد المتن، وبين التراث والتحليل العلمي الحديث.

الاستنتاجات

1. تبرز أهمية علم الرجال بوصفه الضمانة الأساسية لحفظ الرواية من التحريف، وهو ما جعله مكوّنًا جوهريًا في بناء التراث الإسلامي الشيعي.
2. العقيدة الإمامية مؤسسة على روايات ذات سند معتبر، مما يعكس اعتمادًا منهجيًا على أدوات الجرح والتعديل في تثبيت المعارف العقدية.
3. المدوّنة الفقهية الإمامية لم تكن لتتطور دون علم الرجال، لأن الاستنباط مبنيّ أساسًا على صحة الخبر وثبوت طريقه.
4. المصادر الرجالية الأساسية (النجاشي، الطوسي، ابن الغضائري) شكّلت الركيزة الأولى للنقد السندي، وأقامت قواعد متينة لفهم أحوال الرواة.
5. التطور التاريخي لعلم الرجال كشف عن مرونة هذا العلم وقدرته على استيعاب التحولات الفكرية عبر القرون، من المدرسة التقليدية إلى المدرسة النقدية المعاصرة.
6. الإشكالات الحديثة لم تُلغِ قيمة علم الرجال، لكنها أظهرت الحاجة إلى إعادة قراءة بعض الأحكام الرجالية وفق مناهج علمية متطورة.
7. وجود اتجاهات تضعف السند أو تعتمد المتن فقط قد يؤدي إلى خلل منهجي خطير، لأن السند هو صمّام الأمان في الدراسات الروائية.
8. المنهج التكاملي (السند + المتن + القرائن) هو الأكثر مناسبة للعصر الحديث، لأنه يحافظ على أصالة التراث ويستفيد من أدوات النقد المعرفي الجديد.
9. علم الرجال يظل علمًا محوريًا لا يمكن الاستغناء عنه في أي مشروع بحثي يتعلق بالحديث، العقيدة، أو الفقه في مدرسة الشيعة.

التوصيات

1. الدعوة إلى تطوير مناهج علم الرجال بما يتناسب مع المناهج التاريخية واللغوية الحديثة، دون التفريط بتراث القدماء.
2. تشجيع الدراسات المقارنة بين علم الرجال الإمامي والسنّي لفهم تطور النقد الروائي في العالم الإسلامي.
3. العمل على تحقيق المخطوطات الرجالية غير المنشورة، لما لها من دور في كشف معلومات جديدة عن أحوال الرواة.
4. تعزيز استخدام منهج الطبقات وتاريخ الرجال في تقييم إمكانية اللقاء بين الرواة وحلّ إشكالات الانقطاع.
5. إنشاء قواعد بيانات رجالية رقمية حديثة تيسر وصول الباحثين إلى المعلومات وتساعد في بناء أحكام منهجية دقيقة.
6. اعتماد منهج تكاملي يجمع بين نقد السند والمتن للتعامل مع الروايات ذات المحتوى العقدي أو الفقهي المعقد.
7. تشجيع إعادة قراءة أحكام القدماء في ضوء القرائن التاريخية الحديثة دون الإخلال بمكانتهم العلمية.
8. الحذر من الاتجاهات التي تلغي قيمة السند لأنها قد تؤدي إلى انهيار البناء الروائي وفتح باب التلاعب بالنصوص.
9. ضرورة إدماج علم الرجال في البرامج الجامعية والدراسات العليا بوصفه أساسًا لفهم التراث الحديثي الإمامي.

المصادر

1. إبراهيم البراقي، منهج التوثيق عند الإمامية، طهران: مركز الأبحاث العقائدية، 2001م.
2. ابن الغضائري، كتاب الضعفاء، تحقيق السيد محمد الصدر، النجف: مكتبة الإمام الصادق، 1385هـ.
3. إحسان الأمين، أعيان الشيعة، بيروت: دار التعارف، ج1–ج2.
4. أحمد بن علي النجاشي، رجال النجاشي، تحقيق موسى الشبيري الزنجاني، قم: مؤسسة النشر الإسلامي، 1407هـ.

5. سلمان، مؤيد فزاع، ونور الآراجي، حسين سعد (2025). الشخصيات الأسطورية في النحت السومري (دراسة في الأسلوب السريالي)، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة واسط. https://doi.org/10.31185/lark.4375
6. الخفاجي، وليد عبد جبر (2025). أثر التطرف في الاستقرار المجتمعي والتنمية: مقاربة سوسيولوجية نقدية لرفض الخطاب المتطرف، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة واسط. https://doi.org/10.31185/lark.4597
7. فرحان، جمال فاضل (2025). البعد الإدراكي للمقدس في شعر النابغة الجعدي: دراسة سيميائية، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة واسط.https://doi.org/10.31185/lark.4506
8. جعفر السبحاني، أصول الحديث وأحكامه في علم الدراية، قم: مؤسسة الإمام الصادق، 1998م.
9. السيد أبو القاسم الخوئي، معجم رجال الحديث، قم: مؤسسة الخوئي، ج1–ج23.
10. السيد محمد باقر الصدر، دروس في علم الأصول، قم: دار الفكر، ج1–ج2.
11. السيد مرتضى العسكري، معالم المدرستين، بيروت: دار التعارف، ج1–ج3.
12. الشهيد الثاني، الرعاية في علم الدراية، قم: منشورات الأعلمي.
13. الشيخ الأنصاري، الرسائل (فرائد الأصول)، قم: دار الفكر.
14. الشيخ البهبهاني، الفوائد الحائرية، قم: مكتبة الداوري.
15. الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، قم: جماعة المدرسين، ج1–ج4.
16. الشيخ الطوسي، الاستبصار، قم: دار الكتب، ج1–ج4.
17. الشيخ الطوسي، تهذيب الأحكام، بيروت: دار الكتب الإسلامية، ج1–ج10.
18. الشيخ الكشي، اختيار معرفة الرجال، تحقيق السيد محمد الطباطبائي، قم/مشهد: جامعة مشهد، 1348هـ.
19. الشيخ المفيد، أوائل المقالات، قم: المؤتمر العالمي للمفيد.
20. الشيخ المفيد، تصحيح الاعتقاد، قم: دار المفيد.
21. الشيخ يوسف البحراني، لؤلؤة البحرين، قم: مؤسسة آل البيت، 1405هـ.
22. الطبرسي، الاحتجاج، بيروت: دار المرتضى، ج1–ج2.
23. عبد الله المامقاني، تنقيح المقال في أحوال الرجال، بيروت: دار الفكر، ج1–ج3.
24. عبد الهادي الفضلي، علم الرجال عند الشيعة الإمامية، بيروت: دار الروضة، 2000م.
25. العلامة الحلي، الباب الحادي عشر، قم: مؤسسة النشر الإسلامي.
26. العلامة الحلي، خلاصة الأقوال في معرفة الرجال، قم: مكتبة آية الله المرعشي، 1411هـ.
27. الكليني، الكافي، طهران: دار الكتب الإسلامية، ج1–ج8.
28. محمد أبو زهرة، الإمام الصادق حياته وآراؤه، القاهرة: دار الفكر العربي.
29. محمد بن الحسن الطوسي، الرجال، قم: مؤسسة النشر الإسلامي، 1415هـ.
30. محمد بن الحسن الطوسي، الفهرست، النجف: المطبعة الحيدرية، 1381هـ.
31. محمد رضا الجلالي، مدخل إلى علم الرجال، قم: دار الهادي، 2003م.
32. الميرزا عبد الله الأفندي، رياض العلماء، قم: مكتبة المرعشي، ج1–ج3.
33. هاشم معروف الحسني، دراسات في الحديث والمحدثين، بيروت: دار الأندلس، 1974م.

References

1. ʿAbd al-Hadi al-Fadli, ʿIlm al-Rijal ʿinda al-Shiʿa al-Imamiyya (The Science of Rijal among the Imami Shiʿa), Beirut: Dar al-Rawda, 2000.
2. ʿAbd Allah al-Mamaqani, Tanqih al-Maqal fi Ahwal al-Rijal (Refinement of Discourse on the Conditions of Narrators), Beirut: Dar al-Fikr, Vols. 1–3.
3. Ahmad b. ʿAli al-Najashi, Rijal al-Najashi, ed. Musa al-Shubayri al-Zanjani, Qom: Islamic Publishing Institute, 1407 AH.
4. Al-ʿAllama al-Hilli, Al-Bab al-Hadi ʿAshar (The Eleventh Chapter), Qom: Islamic Publishing Institute.
5. Salman, Mu'ayyad Faza', and Noor Al-Araji, Hussein Saad (2025). Mythological Figures in Sumerian Sculpture (A Study in the Surrealist Style), Lark Journal of Philosophy, Linguistics, and Social Sciences, University of Wasit. https://doi.org/10.31185/lark.4375
6. Al-Khafaji, Walid Abdul-Jabbar (2025). The Impact of Extremism on Social Stability and Development: A Critical Sociological Approach to Rejecting Extremist Discourse, Lark Journal of Philosophy, Linguistics, and Social Sciences, University of Wasit. https://doi.org/10.31185/lark.4597
7. Farhan, Jamal Fadhil (2025). The Cognitive Dimension of the Sacred in the Poetry of Al-Nabigha Al-Ja'di: A Semiotic Study, Lark Journal of Philosophy, Linguistics, and Social Sciences, University of Wasit. https://doi.org/10.31185/lark.4506
8. Al-ʿAllama al-Hilli, Khulasat al-Aqwal fi Maʿrifat al-Rijal (Summary of Opinions on the Knowledge of Narrators), Qom: Ayatollah Marʿashi Library, 1411 AH.
9. Al-Kulaini, Al-Kafi, Tehran: Dar al-Kutub al-Islamiyya, Vols. 1–8.
10. Al-Shahid al-Thani, Al-Riʿaya fi ʿIlm al-Diraya (Care in the Science of Hadith Criticism), Qom: Al-Aʿlami Publications.
11. Al-Tabarsi, Al-Ihtijaj (The Protestation), Beirut: Dar al-Murtada, Vols. 1–2
12. Hashim Maʿruf al-Hasani, Studies in Hadith and Hadith Scholars, Beirut: Dar al-Andalus, 1974.
13. Ibn al-Ghadaʾiri, Kitab al-Ḍuʿafāʾ (The Book of Weak Narrators), ed. Sayyid Muhammad al-Sadr, Najaf: Imam al-Sadiq Library, 1385 AH.
14. Ibrahim al-Barqi, Manhaj al-Tawthiq ʿinda al-Imamiyya (The Methodology of Authentication among the Imami Shiʿa), Tehran: Center for Doctrinal Research, 2001.
15. Ihsan al-Amin, Aʿyan al-Shiʿa (Notable Figures of the Shiʿa), Beirut: Dar al-Taʿaruf, Vols. 1–2.

16. Jaʿfar al-Subhani, Usul al-Hadith wa Ahkamuhu fi ʿIlm al-Diraya (Principles of Hadith and Its Rulings in the Science of Narration), Qom: Imam al-Sadiq Foundation, 1998.
17. Mirza ʿAbd Allah al-Afandi, Riyad al-ʿUlamaʾ (Gardens of the Scholars), Qom: Marʿashi Library, Vols. 1–3.
18. Muhammad Abu Zahra, Al-Imam al-Sadiq: His Life and Thought, Cairo: Dar al-Fikr al-ʿArabi.
19. Muhammad b. al-Hasan al-Tusi, Al-Fihrist, Najaf: Al-Haydariyya Press, 1381 AH.
20. Muhammad b. al-Hasan al-Tusi, Al-Rijal, Qom: Islamic Publishing Institute, 1415 AH.
21. Muhammad Rida al-Jalali, An Introduction to the Science of Rijal, Qom: Dar al-Hadi, 2003.
22. Sayyid Abu al-Qasim al-Khoei, Muʿjam Rijal al-Hadith (Encyclopedia of Hadith Narrators), Qom: Al-Khoei Foundation, Vols. 1–23.
23. Sayyid Muhammad Baqir al-Sadr, Durus fi ʿIlm al-Usul (Lessons in the Science of Legal Theory), Qom: Dar al-Fikr, Vols. 1–2.
24. Sayyid Murtada al-ʿAskari, Maʿalim al-Madrasatayn (Features of the Two Schools), Beirut: Dar al-Taʿaruf, Vols. 1–3.
25. Shaykh al-Kashshi, Ikhtiyar Maʿrifat al-Rijal (Selections from the Knowledge of Narrators), ed. Sayyid Muhammad al-Tabatabaʾi, Qom/Mashhad: Mashhad University, 1348 AH.
26. Shaykh al-Mufid, Awaʾil al-Maqalat (The Earliest Theological Treatises), Qom: Al-Mufid World Congress.
27. Shaykh al-Mufid, Tashih al-Iʿtiqad (Correction of Beliefs), Qom: Dar al-Mufid.
28. Shaykh al-Saduq, Man La Yahduruhu al-Faqih (He Who Is Not Attended by the Jurist), Qom: Teachers' Association, Vols. 1–4.
29. Shaykh al-Tusi, Al-Istibsar, Qom: Dar al-Kutub, Vols. 1–4.
30. Shaykh al-Tusi, Tahdhib al-Ahkam, Beirut: Dar al-Kutub al-Islamiyya, Vols. 1–10.
31. Shaykh Muhammad Baqir al-Bihbahani, Al-Fawaʾid al-Haʾiriyya (The Haʾiri Benefits), Qom: Al-Dawari Library.
32. Shaykh Murtada al-Ansari, Al-Rasaʾil (Faraʾid al-Usul) (Treatises / The Unique Principles), Qom: Dar al-Fikr.
33. Shaykh Yusuf al-Bahrani, Luʾluʾat al-Bahrayn (The Pearl of the Two Seas), Qom: Al al-Bayt Foundation, 1405 AH.